مدينة البليدة خلال العهد العثماني
(1518– 1830م)

أ. مراد قبال

جامعة خميس مليانة – الجزائر –

ملخص:

تأسست مدينة البليدة على يد سيدي أحمد الكبير الأندلسي سنة 1535م، ونظرا لموقعها ووفرة المياه فيها وخصوبة أراضيها واعتدال مناخها وتبعيتها للحكومة المركزية، تدفق عليها الناس بمختلف فئاتهم، ومن مختلف المناطق، حتى غدت إحدى أهم مدن الجزائر العثمانية، حيث وصل عدد سكانها قبل زلزال 1825م المدمر إلى نحو ثمانية آلاف نسمة. وقد انقسم المجتمع البليدي إلى خمس فئات سكانية، هي: الحضر، والأقلية التركية، وجماعة الكراغلة، جماعة البرانية ومنهم الميزابيون، فضلا عن اليهود. وقد ساد التضامن والتعاون بين هذه الفئات، خاصة أثناء الجوائح، ما جعل المجتمع البليدي محافظا ومتماسكا ومتآلفا، وذلك وفق أحكام الشرع الإسلامي الحنيف، سادت بين أوساطه مجموعة من العادات والتقاليد، لعل أبرزها عادة زيارة قبور الأولياء الصالحين، كقبر سيدي أحمد الكبير، وقبر سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وقبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

الكلمات المفتاحية: البليدة– المجتمع– الحياة الاجتماعية– الفئات الاجتماعية– العادات والتقاليد– التضامن الاجتماعي.

Résumé :

ville Blida a été fondée par Sidi Ahmed kabir andalou année 1535، en raison de son emplacement et de l'eau abondante et des terres fertiles et un climat doux، et la subordination au gouvernement central، la circulation des personnes dans différentes catégories et différentes régions، est même devenue l'une des villes les plus importantes de l'Algérie Empire ottoman، comme le nombre d'habitants par le tremblement de terre 1825 dévastateur à environ huit mille personnes. communauté Albleda a été divisé en cinq catégories de population: urbain، et la minorité turque et la communauté Alkraglh، groupe adventice Almizabion eux، ainsi que les Juifs. La solidarité et la coopération a prévalu entre ces catégories، en particulier pendant les catastrophes، ce qui rend la communauté Blideneen conservatrice et cohérente، conformément aux dispositions de la loi islamique، la religion، ont prévalu entre ensemble de coutumes et traditions، notamment visiter habituellement les tombes des saints، tombeau de Sidi Ahmed Kabir، et le tombeau de Sidi Ahmed bin Yousef Almliani، et le tombeau de Sidi Abdel Rahman Thaalbi.

- Mots clés :

Blida- Communauté- La vie sociale- Les Groupes sociaux- Coutumes Et Traditions- Solidarité Sociale.

مقدمة:

كان القرن السادس عشر قرنا حافلا بالأحداث المحلية والدولية، فقد كان شديد الوطء على بلاد المغرب والأندلس عامة، والجزائر خاصة، إذ شهد اشتداد حملات الهجرة الأندلسية نحو بلاد المغرب، والحملات الاستعمارية الصليبية الأسبانية والبرتغالية على مدنها وسواحلها، كما اشتد فيه الصراع بين العثمانيين والإسبان في الحوض الغربي للبحر المتوسط.

وفي خضم الألم والمعاناة، بزغ للأندلسيين والمغاربة شعاع من الأمل، كان مصدره المشرق الإسلامي، تمثل في الدولة العثمانية، وبحارتها المجاهدين، الذين كان على رأسهم الإخوة بربروس "عروج" و"خير الدين"، الذين ذادوا عن حمى الدين، فأنقذوا الأندلسيين من مخالب الصليبية الإسبانية والبرتغالية، ودافعوا عن ساحل بلاد المغرب من الغزو والاحتلال دفاع الأبطال.

ونتيجة هذا الأمر رغب الجزائريون في الاحتماء براية هذه الدولة الإسلامية، وكان ذلك عام 925هـ/ 1519م.

في هذا الجو المفعم بالأحداث، تأسست مدينة قريب من مدينة الجزائر، تدعى البليدة، بفضل رجل من أبناء الأندلس يدعى سيدي أحمد الكبير.

نبذة تاريخية جغرافية موجزة عن مدينة البليدة:

تقع مدينة البليدة على بعد 48 كلم جنوب- غرب مدينة الجزائر[1]، على خط طول (52'، 2° شرقا)، ودائرة عرض (27'، 36° شمالا)، وعلى ارتفاع 260 مترا عن مستوى سطح البحر[2]، رابضة عند قدمي الأطلس التلي الشامخ(3)، عند الحافة الجنوبية لسهل متيجة (أم الفقراء) الخصيب[4]. يحدها من الشمال: بلديات بني مراد، بني تامو، ووادي العلايق، ومن الجنوب: بلديتا الشريعة وبوعرفة، ومن الشرق: بلدية أولاد يعيش، ومن الغرب: بلدية الشفة.

واسم البليدة كما هو واضح عربي، وهو تصغير بلد، أو بلدة[5]، وتعني "المدينة الصغيرة" أو "القرية الكبيرة"[6]. وقد عُرفت المدينة عبر تاريخها بصفات وألقاب كثيرة، تبرز سحرها وجمالها، من ذلك: "البليدة الوريدة"[7]، "المدينة- الواحة"[8]، "مدينة البساتين الإفريقية"[9]، "زهرة الساحل"[10]، "مدينة الأبواب السبعة"[11]، إذ يوجد بالبليدة اليوم سبعة أبواب، أربعة منها منذ العهد العثماني، وهي: باب الجزائر، باب الرحبة، باب السبت، وباب الزاوية، ثم في العهد الفرنسي أضيفت ثلاث أبواب، وهي: باب القبور، باب الخويخة، وباب القصبة، وأخيرا "مدينة الورود"[12].

فعلى الحافة الجنوبية لسهل متيجة، وعلى بعد 22 كلم عن ساحل البحر، تأسست مدينة البليدة، التي هي على اتصال تام بالجبل والسهل. ولقد بنيت على قمة ينبوع يتدفق منه وادي الرمان[13]، الذي يتشكل بدوره من اتحاد ثلاثة روافد، وهي وادي تامدا إفري، ووادي تاحسابت، ووادي تابركشنت. كما أن المدينة واقعة ضمن مناخ يمتاز

بالاعتدال (مناخ البحر الأبيض المتوسط). وبهذا الموقع فإن البليدة تسيطر على سهل متيجة، وتهيمن عليها بدورها تلك المرتفعات الكثيفة الأشجار، ذات الألف وخمسمائة متر (1500 متر) من سلسلة جبال الأطلس المتيجي، المعروف بالأطلس البليدي، مما يجعلها على اتصال مع ثلاثة أوساط طبيعية في البلاد (باستثناء الشاطئ أو الساحل) وهي السهل، والهضبة، والجبل.

وقد عرفت منطقة البليدة (سهل متيجة) استقرار تجمعات سكانية منذ القديم، وقد أصبحت في الفترة الإسلامية تؤلف شبكة عمرانية مهمة، بين مدن المثلث الصنهاجي "الجزائر، والمدية، وملیانة"، "فقد كان بسيط متيجة مستبحرا بالعمران، آهلا بالقرى والأمصار. ونقل الإخباريون أن أهل متيجة لذلك العهد – الفترة الاسلامية الوسطى– كانوا يجمعون في ثلاثين مصرا، فجاس خلالها، وأوطأ الغارات ساحتها، وخرب عمرانها، حتى تركها خاوية على عروشها"[14].

وحسب المصادر التاريخية القديمة، وبعض الجغرافيين والرحالة العرب، فإن موقع مدينة البليدة كان على أنقاض مدينة كانت تدعى خزرونة[15]، أو كزرونة، التي كانت تقع (حسب البكري) في الطريق الرابط بين المدية وجزائر بني مزغنة[16]. أما ابن خلدون فإنه لم يذكر مدينة البليدة عند حديثه عن بسيط متيجة[17]. أما الرحالة المغربي "الزياني" فقد أخطأ عندما قال: "أن مدينة البليدة أسسها أمير صنهاجة عام 345هـ / 940م"[18]. وأما المؤرخون والرحالة الغربيون، فقد أعطوا لمدينة البليدة تاريخا أبعد من ذلك، فقد كان هواة التاريخ الروماني يرون أن البليدة بنيت فوق آثار(بيدا كولونيا)–Bida Colonia، حيث أن الرحالة الإنجليزي الدكتور شاو (SHAW) رأى في البليدة مدينة "بيدا كولونيا" الرومانية، التي كانت في عام 484 بعد ميلاد المسيح مقرا لأحد القساوسة[19]. وهذا التشابه في التسمية يلائم توقعاتهم، لأنه من بيدا (Bida) إلى (Blida)، ليس هناك من فرق سوى سمك الحرف (ل. L). إلا أن هذا الاسم يطلق على منطقة معروفة الآن باسم (جماعة صهريج)، بهضبة سباو، بمنطقة الزواوة (القبائل الكبرى)، وبها آثار رومانية تشهد على ذلك[20]، مما بدد توقعاتهم. كما أن الغياب التام للآثار الرومانية على امتداد أرضها، زد على ذلك عدم وجود بقايا أواني، ورؤوس تماثيل، وقطع نقدية أو أوسمة، كان سببا آخر لمحاربة هذا الرأي، كما أنه لم يكن مفترضا أن شعبا عسكريا كالرومان، يختار موقع منطقة كالبليدة (طريق مسدود بالجبل)، لوضع قاعدة عسكرية، أو إقامة مستوطنة دفاعية[21].

أما الرحالة الألماني (هاينريش فون مالتسان) فيقول: "أما ما يتعلق بالآثار القديمة في البليدة، فلعله من الممكن أن يبحث الإنسان في هذه المنطقة عن (تمريسينوم) التي ورد ذكرها في الدليل الخاص بالطرق لأنطو نيتي أوغوسطي، فقد جاء في هذا الدليل أن (تمريسينوم) تبعد عن (نتاراموزاكاسترا)– موزاية اليوم– بستة عشر ميلا[22]، والمسافة بين البليدة وموزاية تقدر بأربعة عشر كيلومترا، وهذا لا يتناسب تماما مع ما ذكر في الدليل بطبيعة الحال، إلا أن الدليل غالبا ما تعوزه الدقة في ذكر المسافات. وعلى أية حال فإنه يكون من الغريب جدا أن يكون القدماء قد جهلوا الموقع المناسب الذي تقوم عليه البليدة"[23].

إذن الحقيقة التاريخية تؤكد أن البليدة لا يمكن أن تكون سوى مدينة عربية، ذات تاريخ غير بعيد، فأول لبنة تطبع هذه المرحلة المنيرة في تاريخ البليدة، كانت من طرف سيدي أحمد الكبير[24]. ففي بداية القرن السادس عشر، وعلى أرض البليدة- مدينة المستقبل-، لم يكن يوجد سوى قريتين لفرق من قبيلة بني خليل، هما: قرية هجار سيدي علي في الشمال، وإلى الجنوب قرية أولاد سلطان[25]. ففي عام 925هـ / 1519م، لم تكن هجار سيدي علي سوى مساكن متواضعة على سفوح الأطلس، بحيث يمكن القول إنها لم تكن حينئذ إلا قرية صغيرة، تتألف من نحو أحد عشر كوخا[26]. وفي ذلك العام (925 هـ / 1519م)، حل بمنطقة البليدة رجل من الأندلس يدعى سيدي أحمد الكبير، فأعجبه المكان، ووضع كوخه عند الضفة اليمنى لوادي الرمان[27]. وبعد سنوات من ذلك (942 هـ/1535 م) نزل عدد من المهاجرين الأندلسيين في منطقة شنوة (نواحي تيبازة)، ثم زحفوا نحو هجار سيدي علي[28]، تجنبا لمضايقات العشائر التي كانت تسكن فيها[29]. وقد أقام الأندلسيون في البليدة تحت حماية الولي الصالح سيدي الكبير، والباشا خير الدين بربروس، الذي ركب متون الأخطار لإنقاذهم بنفسه على سفائنه من مخالب الوحشية الإسبانية[30]. وقد تعهد هذا الأخير خلال زيارته للبليدة، ولقاءه بسيدي أحمد الكبير، بإنشاء مسجد وفرن عام – مخبزة – وحمام، على نفقاته الخاصة، وأوفى بتعهده، حيث أنه ما حل عام (942هـ/1535م) حتى كانت المؤسسات الثلاث- المسجد والحمام والفرن- قائمة[31]. وبعد ذلك بنى الناس مساكنهم ودورهم الجميلة، التي تمتاز بشكلها الأندلسي الأنيق[32]، وأنشئوا حولها بساتين ومزارع يانعة الثمار، زاهية الأزهار والنوار، واتخذها الأندلسيون لأنفسهم دارا وملاذا، وجعلوها مركزا لصناعاتهم البديعة، كالتطريز على الجلد، وأجروا حولها المياه بصفة فنية[33]، فكانت مدينة جامعة لأنواع الفواكه والرياحين الشذية، والجو العبق الأريج، ممتازة بتدفق مياهها العذبة الباردة، وطيب هوائها النقي[34]، حتى أصبحت واحدة من أجمل وأمتع مدن الإيالة الجزائرية في العهد العثماني[35].

وقد سحر جمال البليدة عقول وأفكار الرحالة والمؤرخين، الذين تعرفوا عليها منذ تاريخ تأسيسها، فقد سجلوا إعجابهم بها، ونوهوا بمناظرها الخلابة التي تجلب الانشراح والبهجة، وتوفر جوا رومانطيقيا يدفع إلى التأمل، ويثير في النفس الرغبة في تذوق الرائحة، والاستمتاع بالحياة المريحة[36]. ومن هؤلاء، الولي الصالح سيدي أحمد بن يوسف المليانى[37]، الذي خصها بالكلمة الطيبة: ***"الناس سموك بليدة، وأنا أسميك وريدة"***[38].

الحياة الاجتماعية بمدينة البليدة خلال العهد العثماني:

إن موقع البليدة الممتاز، ووفرة المياه فيها، وخصوبة أراضيها، واعتدال مناخها، وتبعيتها للحكومة المركزية التي تحميها من تعنت الباي وأعوانه، كانت كلها عوامل جعلت الناس بمختلف فئاتهم يتدفقون عليها من المناطق المجاورة، منذ الأيام الأولى للتأسيس، وإلى غضون السنوات الأخيرة من العهد العثماني، وبذالك زاد عدد سكانها زيادة كبيرة وسريعة[39]، رغم الكوارث التي كانت تتعرض لها بين فترة وأخرى.

أولا: الفئات الاجتماعية: اتصف الوضع الاجتماعي بمدينة البليدة، بتمايز السكان حسب نمط معيشتهم، وأسلوب حياتهم، واختلاف مصادر رزقهم، وطبيعة علاقاتهم بالحكام. وحسب "حمدان خوجة" فإن سكان

البليدة يشبهون بعض الشيء سكان متيجة، إلا أنهم أكثر منهم حضارة[40]، فقد تألفوا من أصول مختلفة، وهم يتركبون من الأندلسيين، والأتراك، والكراغلة، والعرب، والميزابيون، واليهود، وبعض الأفراد من القبائل المجاورة للمدينة[41]، مما سهل عملية تصنيفهم إلى خمسة مجموعات، حيث وجد أنه مماثلا إلى حد ما للتركيب الاجتماعي في مدينة الجزائر– حاضرة البلاد –، وهذه الفئات أو المجموعات السكانية تتمثل فيما يلي:

أ–فئة الحضر: أو "البلدية" تشكل غالبية سكان مدينة البليدة، تتألف من الأندلسيين، والعرب، وبعض الأفراد من القبائل المجاورة للمدينة(42)، الراغبين في التمدن من أفراد قبيلتي بني صالح[43]، وبني خليل[44] البربرية، وكذا بعض أفراد قبيلة الثعالبة العربية، التي استوطنت إقليم متيجة[45] في عصور تاريخية سابقة.

ويرجع أعمار البليدة منذ تأسيسها، إلى أفراد فرقة أولاد سلطان، وهي فرع من فروع قبيلة بني خليل[46]، إضافة إلى العناصر الأندلسية التي اقطعها خير الدين بربروسة عام 942هـ/1535م أراضي بتلك الجهة، فاستقرت بها تحت زعامة أحد الأندلسيين من ذوي الصلاح والتقوى، وهو سيدي أحمد الكبير، الذي ارتبط بالمصاهرة مع قبيلة أولاد سلطان المقيمة بالقرب منها. فأصبحت البليدة مقرا مفضلا للعديد من الأسر الأندلسية المورسكية المهاجرة في مطلع القرن السابع عشر، وهذا ما جعل أغلب سكانها من الأندلسيين، والمورسكيين. وحتى بعد التحاق جماعات أخرى بها أغلبها من الأتراك، والكراغلة، وبعض الأفراد من قبائل متيجة والأطلس البليدي، إلا أن الأندلسيين ظلوا يشكلون نسبة كبيرة من سكانها، فهم لا يقلون عن نصف السكان[47].

ويعرف الأندلسيين الذين عمروا مدينة البليدة بالمدجنين، نسبة إلى الموطن الذي هاجروا منه بالأندلس. هذا وقد استطاع الأندلسيون نشر اللسان العربي الدارج في المناطق الجبلية القريبة من البليدة، حيث أصبح غالب السكان يستعمل بجانب اللهجة البربرية المحلية العربية الدارجة، كما هو الحال في مناطق بني صالح[48].

هذا وقد تميز الحضر بعاداتهم وتقاليدهم الخاصة، وبوضعهم الاجتماعي المميز، مما جعلهم يؤلفون طبقة اجتماعية ميسورة، ويشتغل أفرادها في المهن الصناعية "الأعمال التجارية"، ويتولون وظائف السلك القضائي والتعليم. كما اهتموا بتنمية ثرواتهم، واستغلال أملاكهم، واستثمار مزارعهم الواقعة بالقرب من المدينة، هذا ما جعلهم يؤلفون "برجوازية المدن الصغيرة" التي عُرفت بخضوعها للبايلك، وقلة اهتمامها بأمور السياسة وشؤون الحكم، حيث ظهر في هذه الطبقة التجار والصناع، وأصحاب الحرف وملاك الأراضي، والفقهاء والعلماء والقضاة والمدرسين، وغيرهم(49).

ب– الأقلية التركية: تتشكل من بعض موظفي الجهاز الإداري والشرعي بالمدينة، كالحاكم، والمفتي الحنفي، ومن متقاعدي الجيش الإنكشاري الذين سكنوا المدينة لقضاء سنوات الراحة[50]، حيث أن الأتراك يبدؤون جنودا، فيعرضون أنفسهم إلى جميع المخاطر قصد الحصول على الثروة وعلى المسؤوليات، وعندما يتقدمون في السن يجنحون للراحة، ويتقاضون تعويضات تتناسب مع خدماتهم[51]، وكذا من بعض أفراد طائفة رياس البحر، وبعض موظفي ديوان الداي، حيث أن البليدة أصبحت مقرا متميزا لإقامة هؤلاء، الذين امتلكوا أفضل المنازل داخل

المدينة وخارجها، المشيدة بين بساتين البرتقال المسيجة تسمى "الأبراج"، لقضاء جزء من السنة بعيدا عن ضجيج المدينة وحرارة الصيف[52].

كما تتشكل الأقلية التركية من جنود "الإنكشارية"، الذين وزعتهم الحكومة المركزية على حامية المدينة، و التي كانت مبنية بقصبة البليدة، في الجنوب الغربي داخل حدود السور[53]، فبمجرد ما تعلن مقاطعة عن خضوعها للقوانين، كانت الحكومة التركية ترسل حامية تقي سكانها من كل هجوم، ويقود الحامية ضابط برتبة بولكباشي، يساعده أوضاباشي، وباش يولداش، وتغير الحامية كل سنة[54].

كما كانت البليدة المكان الملائم لنفي المغضوب عليهم من طرف حكام الجزائر، ومنهم موظفون سامون في الإدارة التركية في الجزائر، وفي مقدمتهم باي وهران "عثمان بن محمد"[55] الملقب بـ: الملقش[56]، وآغا العرب "يحي"[57]، و"الحاج أحمد" قبل توليه بايليكية الشرق[58].

وقد ظلت الطائفة التركية بالمدينة قليلة العدد، نظرا إلى حالة العزوبة التي كان يعيشها أغلب أفراد الجيش التركي العامل، وعدم تبني أبنائهم "الكراغلة "، واعتبارهم عنصرا هجينا لا يرتقي إلى مستوى الأصول التركية الخالصة، وتفضيل بعضهم عمليات الإجهاض حتى لا تربطهم صلات المصاهرة، أو روابط القربة بالأسر المحلية، فضلا عن تعرض الكثير منهم إلى أمراض وأوبئة[59].

هذا وقد اكتفى أغلب أتراك البليدة بالعمل في الجيش، وممارسة الوظائف الإدارية، أو الاشتغال في دكاكين الأقمشة، والحلي، والمواد الكمالية، أو استغلال أملاكهم بالمدينة، وبساتينهم في الفحوص[60].

ونظرا لقلة أعداد أفراد الطائفة، وانعزالها عن باقي السكان، فإنها لم تخل بالتركيب الإثنوغرافي، ولم تؤثر في البيئة الاجتماعية لسكان المدينة، ولا في طريقة الحياة، وأسلوب المعيشة[61].

وقد انتمى أفراد هذه الأقلية إلى المذهب الحنفي، وتزايد أعدادها في المدينة دفعها إلى بناء مسجد جامع للصلاة سنة 1750م، يدعى المسجد الحنفي (أو المسجد التركي).

ج- جماعة الكراغلة: تكونت هذه الجماعة نتيجة تزاوج أفراد الجيش التركي "الإنكشارية" بنساء البلاد. وقد كان الكراغلة في مدينة البليدة يشكلون غالبية أفراد حامية المدينة، والبعض الآخر يقطن داخل المدينة، أو في بساتينها بالفحوص[62].

وليس لأبناء الأتراك الحق فيشغل المناصب السامية في الدولة، ومع ذلك يصلون أحيانا إلى مراكز معتبرة، إما عن طريق نفوذ أبائهم، أو عن طريق أموالهم[63]، حيث يستطيع الكراغلة أن يتولوا منصب "قائد" في الإدارة، أو منصب " الخوجة "، أو الإمام في المساجد بشرط أن يكونوا قد حفظوا القرآن وتعلموا العربية، والتركية كما ينبغي، وهناك منهم من ينتسب في أيام شبابه إلى "الانكشارية"، ويشتغل بعضهم في الأعمال التجارية الصغيرة[64]، وبعضهم الآخر بالمهن، واستثمار الملكيات الزراعية بفحوص المدينة[65].

وقد ساعد الكراغلة على أن يحتلوا المرتبة الثانية في السلم الاجتماعي، لصلتهم بالأتراك، وعلاقتهم الخاصة بالأهالي، فأصبحوا يشكلون طبقة وسطى ميسورة الحال، إذ من النادر العثور على فقير بينهم[66].

وقد كان عدد الأقلية التركية وجماعة الكراغلة ضئيلا عام 1830م، حيث قدر بحوالي 490 عنصرا في كل من مدينتي البليدة والقليعة[67].

هـ- الميزابيون :الذين هاجروا من مواطنهم إلى مدينة البليدة للإقامة والعمل، وكان أفراد هذه الفئة يعيشون من دخل مهنهم، حيث امتلكوا بعض الدكاكين الصغيرة داخل المدينة[68]، كما أنهم احتكروا أعمال المشرفين على الحمام، وشكلوا أغلبية الجزارين والرحويين[69].

ي- الطائفة اليهودية: تشكل أحد العناصر البشرية بالمدينة، وهي تعود في أصولها إلى اليهود المحليين الذين استقروا في الفترة السابقة للإسلام، أو الذين اعتنقوا اليهودية من أهالي البلاد، بالإضافة إلى يهود الأندلس "السافرديم" الذين قدموا مع مسلمي الأندلس هروبا من اضطهاد النصارى[70]، وأقاموا في المدن الجزائرية، ومنها البليدة، بعدما وجدوا فيها حكومة قائمة على أساس العدل والإنصاف[71]، حيث استقبلهم العثمانيون بحماسة وحفاوة، ولا سيما أنهم كانوا يرافقون المسلمين المهاجرين[72].

وقد كان يهود البليدة يشتغلون بالأعمال المالية والتجارية، مثلما يشتغل بنو جلدتهم في كل بقاع الدنيا[73]، حيث امتلكوا مجموعة من المحلات التجارية لبيع مختلف المواد كالأقمشة والحلي[74]. وقد ضبطت الحكومة العثمانية غرامة عليهم لحماية أشخاصهم، وضمان معتقداتهم، وهي غرامة تتناسب مع ثرواتهم، وتتماشى مع قانون البلاد[75]، إذ التزموا بدفع ضريبة الرأس"الجزية"، التي يتولى مقدمهم في المدينة تقديمها نيابة عن أفراد جماعته إلى شيخ البلد[76].

كما كان على يهود البليدة "ألا يحدثوا ديرا ولا بيعة ولا صومعة، وأن يوقروا المسلمين، ولا يتشبهوا بهم في شيء من ملابسهم، ولا فرق شعورهم، ولا يركبوا السروج، ولا يتقلدوا شيئا من السلاح ولا يحملوه معهم، وأن لا يسكنوا المسلمين بينهم"[77]. كما كان عليهم أن يرتدوا الألبسة السوداء، وذلك كي يتميزوا بها عن غيرهم[78]. وقد كان لهم حي خاص داخل سور المدينة يدعى زنقة، أو حارة، أو زقاق اليهود[79]. والإقامة في الحارة اليهودية لم تكن إجبارية أو عنصرية، ولا يوجد ما يدل على ذلك، لكن حرص الحكام على أمن اليهود وحمايتهم من الاعتداءات والتجاوزات في أوقات الأزمات والاضطرابات السياسية- الاجتماعية هو سبب وجود هذه الحارات. أما الذين فضلوا الإقامة خارج هذه الأحياء اليهودية لم يمنعهم أحد من ذلك، لكن الأغلبية الساحقة منهم بقيت متمسكة بشدة وعناد بالبقاء في الحارة، منغلقة على نفسها، بعيدا عن الأعين الفضولية، وعن مخاطر إطلاع الغير عن أسرارها وحساباتها، وحرصا منها كذلك على الإحتفاظ بمظهر الضحية المسكينة التي لا يمكن أن تثير سوى الشفقة والعطف لضعفها، ولو أن بعض اليهود كانوا في الخفاء وراء الكثير من الفتن و الاضطرابات[80].

أما عن عددهم، فلم تمكني المصادر والمراجع التي اطلعت عليها من تحديد ذلك.

ثانيا: الكوارث الطبيعية والتضامن الاجتماعي:

في منتصف القرن السادس عشر كان يقطن البليدة حوالي 500 ساكن، وفي نهاية القرن الثامن عشر كان يقطنها حوالي 3000 شخص[81]، أما في أواخر الفترة العثمانية (1816-1825) فقد قدر عددهم ما بين سبعة آلاف[82]، وعشرة آلاف نسمة[83]. أما عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 فقد كان سكانها يعدون مابين ستة آلاف وسبعة آلاف نسمة[84]، بل قدرهم البعض بـ 10آلاف نسمة[85].

وقد تعرضت مدينة البليدة والمناطق المجاورة لها إلى عدة كوارث طبيعية أثرت في عدد السكان فيها، فقد شهدت المدينة طاعونا عام 1556م والذي دام أربع سنوات، وهو الذي قتل ثلاثة باشاوات في العاصمة، إلى الذي حدث عام 1561م والذي طال فتكه بالناس، تلاه آخر عام 1572م والذي دام ثلاث سنوات، ثم طاعون آخر عام 1620م والذي سمي "بالطاعون الكبير"، وآخر دام من 1698م إلى 1700م، وقد مات به 24 ألف بالعاصمة والبليدة ودواخل متيجة، و45 ألف على مستوى الإيالة. بعده وفي 1747م جاء طاعون آخر ليخرب العاصمة والبليدة لمدة عامين، ثم طاعونا 1724م و1749م، وآخر عام 1787م قتل فيه 17 ألف بالعاصمة، وامتد إلى سهول البليدة، وطاعونا 1792م، و1815م، وأخيرا ذلك الذي دام من 1817م إلى 1823م الذي أخلى العاصمة والبليدة من السكان، حيث تذكر بعض المصادر أن عدد الموتى قد بلغ 70 شخصا يوميا[86].

وفي هذا الشأن يقول حمدان خواجة: "لقد حضرت في مدة حياتي وهي تنيف عن الستين، وقوع الوباء بالجزائر متفرقة على سنين، وكان مجموع مدة تلك المحنة 20 سنة فشوهت خلقة الجزائر بعد أن كانت عذراء مستحسنة، فأقفرت معالم البلاد، وتشوشت أحوال العباد، واضمحل العلم وذووا الاستعداد، وانقرض من العساكر ما كان عدة في العمران والفلوات، ففشى فيها يومئذ الفساد واكتهل، واتسع الخرق ولم يبق للراقع محل، فيالها من رزية تقشعر لها الجلود الحساسة، ويالها من خسارة، ومبدؤها إيراد ممرض على مصح"[87].

معظم هذه الطواعين كانت متبوعة بغزو للجراد، لا سيما التي حدثت أعوام: 1556، 1572، 1698، 1724، 1749، 1787، 1817،1815م[88].

كما تعرضت المدينة إلى هزات أرضية عديدة، غير أن أكثرها إفجاعا تلك التي حدثت خلال أعوام: 1601م، و1716م، حيث دامت الهزات في هذه السنة من 3 فيفري إلى نهاية جوان بصفة متقطعة، وتلا ذلك هزات أرضية في سنوات 1760، 1770، 1802م، على أن أعنفها وأشدها هدما وفتكا كان زلزال 1825م، والذي كان متبوعا بانفجار وباء التيفوس، فخلال (22) يوما التي دامها في المدينة، كانت البليدة قد فقدت نصف سكانها[89].

وقد امتازت العلاقة بين المجموعات السكانية المشكلة للمجتمع البليدي بروح التسامح، والتآزر، والتعاون، في إطار ما حدده الشرع الإسلامي الحنيف، والقوانين العثمانية، فخلال سنوات القحط والجفاف وانتشار المجاعة، ساهم الوقف[90] مساهمة بارزة في التخفيف من حدة الجوع والفقر الذي عم المنطقة، وذلك

باستغلال السواقي والعيون في ري المحاصيل الزراعية، كالحبوب والأشجار المثمرة، فمثل هذه الكوارث الطبيعية والأزمات التي كانت تجتاح المجتمع الجزائري، سمحت لنا بالتعرف عن جانب أعمال الخير والبر والتضامن والتكافل والتآزر، وذلك بواسطة توفير لقمة العيش لعامة الناس أثناء الشدة، لتجاوز أزمة الجوع والحرمان والفقر[91]، فعلى سبيل المثال أصبح صاع القمح يباع في مدينة البليدة خلال مجاعة 1794م بسعر سبعة دنانير[92]. وفي مثل هذه النكبات يبرز أصحاب البر والإحسان، الذين بذلوا جهدهم في إعطاء الصدقات للضعفاء، "فمنهم من يطعم الطعام ويسقي، ومنهم من يحضر الحبوب بالرحبة (السوق) في صورة البائع، فيجتمع عليه الناس، ويكتال كل واحد نصيبا، وحين تنقضي تلك الحبوب، ويحوزها المكتالون لها، ينادي ربها -أي مالكها- بلسان فصيح: يا عباد الله كل من أخذ شيئا فهو له خالصا لا آخذ منه ثمنه، ويذهب في حال سبيله، فيفرح الناس حينئذ، ويشكرون فعله، ثم ينصرفون"[93]. كما أنه وفي زمن الطاعون، كان لإدارة بيت المال نشاط يفوق نشاط جميع الإدارات الأخرى، فهي التي تقوم بإحصاء الموتى، وتعمل على تجنب الفوضى التي قد تتسبب فيها كثرة الوفيات، كما أنها تتولى التركات المهملة، وتقوم بعمليات الميراث[94].

كما أن الروابط الروحية، والتقاليد الإسلامية، جعلت سكان البليدة يخصصون جزءا من عائدات عقاراتهم المحبسة للحرمين الشريفين (مكة والمدينة)، قصد تقديم خدمات لهاتين المؤسستين، كسبا للشعور الديني، وتحسينا للروابط الدينية والاجتماعية خدمة للدين الإسلامي، ومن أجل الإسهام في خدمات الحجاج، من توفير الماء والسكن والطواف، وما يحتاج إليه هؤلاء أثناء أداء واجبهم الديني[95].

لذلك أصبح الواقفون بالبليدة لا حصر لهم بجنس أو طبقة اجتماعية، فمنهم الرجال والنساء، والعامة والخاصة، إذ نجد عقودا للتحبيس تؤكد لنا ذلك، منها:

"أن الحاج مصطفى بن قادري قام بتحبيس أسفل باب الزاوية بالبليدة على نفسه، ثم العقب، ثم الحرمين الشريفين"[96]، وهذا أوائل رجب 1210هـ/1795م. كما أن "الولية خيرة بنت أحمد بن عيسى حبست بلادها بحوش التوت بالبليدة على نفسها، ثم العقب، ثم الحرمين الشريفين"[97]، وهذا أوائل رجب 1220هـ /1804م. هذا وقد ساهمت البليدة سنة 1240هـ/1824م بـ: 860 ريال بوجود في أوقاف وهدايا الحرمين الشريفين[98].

كما ساهمت فئات اجتماعية مختلفة من سكان البليدة في تحبيس جزء من أملاكهم على مساجد المدينة، وذلك بتخصيص مبالغ مالية من عائدات الأوقاف لخطباء وأئمة وعمال مساجد المدينة، فضلا عن ترميم بعض المساجد وشراء السجاد لها[99]. فقد ورد في بعض وثائق الوقف ما يلي: "إن المكرم الحاج محمد بن القزانة الحوكي قام بتحبيس سقف من الجنة على نفسه، ثم على العقب، ثم على جامع بن سعدون بالبليدة"[100]. كما أن "آمنة بنت الجيلالي الشرشالي قامت بتحبيس الجنة التي على ملكها على نفسها، ثم على العقب، ثم على المسجد الأعظم بالبليدة"[101]، وكان هذا أواخر صفر 1211هـ /1796م. كما "أن المكرم الحاج أحمد بن محمد الحاج قام بتحبيس دار داخل البليدة على نفسه، ثم على العقب، ثم على المسجد الأعظم بالبليدة"[102]، وهذا في رجب 1218هـ /1803م.

كما أن أهل البر والإحسان من أهالي البليدة قاموا بتخصيص مساحات من أراضيهم الزراعية، أو جزءا من ماشيتهم أو كميات من محاصيلهم الفلاحية السنوية، على زوايا المدينة وزوايا المناطق المجاورة لها لأجل الإنفاق عليها، وعلى المدرسين والطلبة بها[103].

ثالثا:اللباس والعادات والتقاليد:

أما عن اللباس، فقد كان الرجال من أهالي البليدة يرتدون نفس اللباس الذي يرتديه حضر العاصمة[104]، حيث يتألف زيهم من غليلة مصنوعة من الكتان أو النسيج، وبدعتين متشابهتين، وسروال واسع قصير، ثم حزام غالبا ما يظهر فخامة ثيابهم، وحذاء واسع مستدير الرأس يشبه النعل، وتبقى السيقان ابتداءا من الركبة عارية عند الحضري الأصيل، وكذلك الأمر بالنسبة للعنق، أما الشعر فيقصص بأسره، باستثناء خصلة في أعلى الرأس[105]. أما النساء فلهن طريقة خاصة في تغطية وجوههن، فهن يحملن فوق رؤوسهن شالا صوفيا سميكا، يستر أحد طرفيه الجانب الأيسر من الوجه، بينما يمتد الطرف الآخر على شكل خط منحن من الذقن إلى العين، بحيث يغطي الجانب الأيمن من الوجه، وهكذا لا يبقى شيء من الوجه عاريا إلا العين الواحدة[106]، إذ تتحجب النساء المحترمات (الحرائر) في الشوارع، ويبدو أنهن كن يصبغن شعورهن بالحناء، ويكحلن عيونهن، ويضعن المساحيق على خدودهن[107].

وقد سادت بين أوساط المجتمع البليدة عادات وتقاليد كثيرة، نذكر منها أن المرأة البليدية كانت تحتل مرتبة ثانوية في كثير من الأحيان، فهي لا تستطيع الحصول على قوتها إلا بمساعدة الرجل، ومهمتها الأساسية في البيت إنجاب الأبناء، وحلب الأبقار، والاشتغال بصناعة الطرز على الحرير والجلد[108]. وبالرغم من ذلك فإنها كانت محترمة وموقرة، ومبجلة باعتبارها الأم والأخت والزوجة والبنت، فلها حقوق وعليها واجبات، حددتها لها الشريعة الإسلامية، وأكدتها لها العادات والتقاليد الاجتماعية، كحقها في اختيار الزوج، والحصول على الصداق، وعلى نصيبها من الميراث، وخروجها لحضور الحفلات الدينية التي كانت تقام يوم الأربعاء من كل أسبوع، أو لزيارة قبور الأولياء[109]، والذهاب لزيارة الحمام، حتى أن التركي في الجزائر لا يمكنه أن يتزوج من فتاة أهلية إلا بعد الموافقة على دفع المبلغ الذي يطلبه أبوها[110].

ويصف لنا ترواملي الدور الاجتماعي للحمام فيما يلي:"لقد كان الحمام الفرصة السانحة للمرأة للخروج مرة واحدة في الأسبوع، فقد كانت النساء معزولات في بيوتهن، ولم يكن لديهن الكثير من أوقات الفراغ، باستثناء الأعراس، أو ما يسمونه "الزيارات"، أي زيارة الأماكن المعروفة في المدينة (سيدي الكبير، سيدي عبد القادر...الخ)، وهكذا أصبح الحمام مكان التقاء، ومكان تبادل المنافع بجميع أنواعها، ففي ذلك العهد كانت المرأة الجزائرية تلجأ إلى الحمام عموما، عندما تريد أن تختار زوجة لابنها، لأنه في ذلك الوقت كانت الأم دائما هي التي تقرر اختيار كنتها المستقبلية من بين كل الفتيات. تتبع الأم الخاطبة الفتاة الأفضل صنعا، متفحصة إياها بانتباه، بشرتها وتقاسيم وجهها، ويديها، ورجليها، وشعرها، بعدها تتأهب لطرح بعض الأسئلة على الفتاة، أو على مرافقتها (أمها أو عمتها)، وإذا كانت الأجوبة مرضية فستطلب عنوانها من أجل زيارة رسمية"[111]. وعندما

تقع أفراح الزواج، أو عندما تكون هناك أعياد عائلية، فإن السكان يستلفون من بعضهم البعض حليا وجواهر ثمينة، وكل شيء في هذه الظروف يرتكز على الثقة، ولا يشترط لإثبات الدائنية، ولقد يوثق بإمرأة عجوز معروفة، حتى ولو كانت فقيرة[112].

كما كان للمرأة الحق في امتلاك العقارات من أراضي وغيرها، وحرية التصرف فيها بالبيع، أو الإهداء، أو الوقف. كما كان لها حق الميراث وفق ما تقتضيه نصوص الشريعة الإسلامية، ومن الدلائل التاريخية على ذلك، ما جاء في بعض وثائق المحاكم الشرعية والبايلك التالية، وهذا على سبيل المثال لا الحصر:

– "أن الحاج الجيلالي بن العلجة أشهر على نفسه، أن الجنة التي على ملكه الكائنة خارج بلدة البليدة وبشعبة مفتاح، إنما هي بينه وبين زوجته فاطمة بنت حمزة"[113].

– "أن الولية عزيزة بنت الحاج عبد الله البكاء، حبست جميع الدار التي على ملكها، الكائنة داخل بلدة البليدة، المتخلفة عن والدها، والمعدة لسكناها، على نفسها مدة حياتها تنتفع بغلتها، فإن قضى الله بوفاتها تصبح الدار وقفا على أوقاف الحرمين الشريفين (مكة والمدينة)"[114].

– "أن علي القليعي قام بتحبيس جميع داره على نفسه، ثم على أولاده يوسف وعيشوشة وفاطمة وعزيزة، وأعقابهم، ثم على الحرمين الشريفين"[115]، و"أن الحاج بن عبد القادر قام بتحبيس الدار على أولاده وأعقابهم للذكر مثل حظ الأنثيين، ثم للحرمين الشريفين[116].

ومن عادة حضر البليدة أن يلجؤوا في أوج الصيف أثناء النهار، إلى ضفاف الوادي الكبير وظلاله، فرارا من أشعة الشمس المحرقة، فيجلسون هناك وقد تجردوا من قطع الثياب المزعجة، وأرجلهم غارقة في الماء البارد حتى الركبة، وعلى رؤوسهم أكاليل الأزهار الجميلة التي ظفرتها لهم نساء حريمهم[117].

كما انتشرت بين أهالي البليدة، وخاصة منهم النساء عادة زيارة[118] قبور وأضرحة الأولياء الصالحين بالمدينة، والذين لكثرتهم وصفت البليدة بـ "مدينة الأولياء"[119]، كضريح سيدي أحمد الكبير، وضريح سيدي عبد القادر الجيلاني[120]، وضريح سيدي يعقوب الشريف[121]، وغيرها من الأضرحة. بل ذهب بعض السكان إلى حد زيارة أضرحة أولياء صالحين بعيدا عن المدينة، على غرار ضريح سيدي محمد بن عبد الرحمن الملقب بـ "بوقبرين"[122]، إذ أن له قبرين أولهما بالحامة (العاصمة)، وثانيهما بآيت اسماعيل في ضواحي بوغني بالزواوة (بلاد القبائل)، وضريح سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وغيرهما.

وعن زيارة ضريح هذا الأخير قال الرحالة الإنجليزي شاو (SHAW): "وفي فصل الربيع يقدم إلى ميليانة من الجزائر والبليدة والنواحي، جموعا من الناس يزورون ويتبركون بوليها سيدي أحمد بن يوسف"[123].

ويعتبر ضريح مولى البليدة ومؤسسها، الولي الصالح سيدي أحمد الكبير الأندلسي، من بين الأضرحة التي يرتادها الزوار من سكان البليدة وضواحيها، ويتواجد الضريح جنوب مدينة البليدة بحوالي 3 كلم، باتجاه السفح الجبلي المقابل له. ويوجد بالمزارة قاعات للصلاة، وزاوية للتعليم، وعين جارية بمياه عذبة باردة، تخترق المزارة باتجاه المقبرة. كما توجد على يمين المزراة دار الوكيل، الذي يتكفل بإدارتها. أما بالمقبرة فلا توجد سوى قبور

قديمة، أبرزها قبران، أحدهما لسيدي أحمد الكبير وثانيهما لأبيه سيدي بلقاسم. والملفت للانتباه غياب القبة على كليهما، ويرجع ذلك حسب الروايات أنه بعد وفاة الرجلين الصالحين جيء ببنائين لبناء القبة، وحين الانتهاء منهما سقطت كلية، فتكفل الأبناء والأحفاد ببنائهما من جديد لكنها انهارت مرة أخرى وبدون سبب، ومن هنا تم التراجع عن بنائهما، ظنا أن الصالحين لم يريدا القبة على قبريهما[124].

ويوجد على قبر سيدي أحمد الكبير تابوت خشبي مزركش بالحلي المتعدد الألوان، على كل جهة منه توجد جهة صلبة، أنجز عليها مكانا لوضع الشموع والعطور، والكل مغطى بسطح مزدوج، أو مربع مسند بأربعة أعمدة خشبية[125]، ويقوم السكان خلال زيارتهم للضريح بأداء طقوس مختلفة، وعلى رأسها تنظيم وعدة[126]، أو زردة[127]، كإعداد الطعام (الكسكسى) لتقديمه للزوار، وذبح طيور الدجاج طلبا للشفاء، كما يقوم الزائرون بإشعال الشموع، وترتيل بعض المدائح الدينية، وبيع خروف بالمزايدة للتصدق بما له على الفقراء فيما بعد، وغيرها من المظاهر الأخرى[128]، ذلك أن التبرك بالولي يتخذ تظاهرة جماعية، تتمثل في الزيارة التي يؤديها الفلاحون قبل بداية الأشغال الزراعية، أو بعدها، والوعدة أو (الزردة) التي يوزع أثناءها الطعام على الزائر، لتأكيد روابط التضامن بين أفراد المجموعة، أو التحالف بين مجموعات مختلفة[129].

وبعد الانتهاء من الوليمة، يقوم الزائر بالدعاء والتضرع إلى الله، من أجل شفاء مريض، أوأن يرزق بالخلق الصالح هاتفا: "يا سيدي الكبير أعطيني بشارة الدار"، ثم يرجع كل واحد من حيث أتى[130].

ويرى حمدان بن عثمان خوجة أن: "الاعتقاد الشعبي اتجاه المرابطين أساسه الجهل والمبادئ الغالطة والتعصب، وليس من السهل إصلاحها، غير أن السياسة هي التي جعلت رؤساء الحكومة التركية يبقون على هذه المبادئ الغالطة، أو يتركونها تستمر"[131].

ومن عادات المجتمع البليدي خلال هذا العهد، لعب لعبة البوقالة التي هي تركية الأصل، وتتمثل اللعبة في حل الكتاب، وقراءة الكتاب، وفتح الكتاب، أي الكشف عن أسرار الخط، والتكهن. والبوقالة أصيص فخاري صغير، اللعبة تقوم بها امرأة عجوز أو متقدمة في السن وسط حلقة من النساء، وهي تنادي على الشيخ عبد القادر الجيلالي، الذي اسمه هنا "أبو علام"[132].

الخاتمة:

شهدت البليدة نموا كبيرا في عدد سكانها، ففي القرن السادس عشر لم يكن عدد السكان يتجاوز الخمسمائة ساكن، غير أن هذا العدد تضاعف تضاعفا مذهلا، أوصل عدد السكان إلى عشرة آلاف نسمة أواخر الفترة العثمانية في الجزائر، وهذا بالرغم من تعرضها إلى كوارث طبيعية قاتلة، كوباء الطاعون، والتيفوس، وزلزال 1825م المدمر. ويرجع النمو المتزايد في عدد السكان إلى الموقع الممتاز للمدينة، ووفرة المياه فيها، وخصوبة إقليمها، واعتدال مناخها، وتبعيتها للحكومة المركزية، مما جعلها مركز جذب لطوائف متنوعة من الناس، حيث تألف

سكانها من طوائف مختلفة (أندلسيون- عرب- أتراك- كراغلة- يهود- ميزابيون- وبعض الأفراد من القبائل المجاورة).

وقد كان المجتمع البليدي محافظا ومتماسكا ومتآلفا، وذلك وفق أحكام الشرع الإسلامي الحنيف، سادت بين أوساطه مجموعة من العادات والتقاليد، لعل أبرزها عادة زيارة قبور الأولياء الصالحين، كقبر سيدي أحمد الكبير، وقبر سيدي أحمد بن يوسف الملياني، وقبر سيدي عبد الرحمن الثعالبي.

الهوامش:

(1) **A.O.M**، F80/N°1733،notice sur alger. ***Voir aussi*** :

Victor (Berard): **indicateur général de l'Algérie، description géographique، historique et statistique**، bastide، Alger، 1867، p 243.

وحسب الآليات الحديثة لحساب المسافات والأبعاد، فإن بعد المسافة بين مدينة البليدة ومدينة الجزائر يقدر بـ: 50 كيلومترا.

(2) أحمد توفيق (المدني): **كتاب الجزائر**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 198.

(3) أبو القاسم (سعد الله): **الحركة الوطنية الجزائرية**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، الجزء الأول، القسم الأول، ص 29.

(4) هاينريش (فون مالستان): **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، الجزء الثاني، ص 133.

(5) عبد الله بن عبد العزيز (البكري الاندلسي): **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الثالثة، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، 1983، الجزء الأول، ص 279.

(6) Djamel (Melouh) et autres: **Blida entre réalités et légende (1519/1540)**، imp.:A-Mauguin، P01.، 2001، Algérie،Blida

(7) Colonel (trumelet): **Blida A-، la tradition et l'histoire، recites selon la légende**، P01.، T I، 1887، Alger،JORDAN

(8) Joèlle (Deluz): **urbanisation en Algérie_ Blida processus et formes**، office des ، maison de L'ORIENT MEDITERRANEEN، (Algérie)،publications universitaires; Alger P29.، 1988، France،LYON

(9) هاينريش (فون مالستان): **ثلاث سنوات في شمال غربي إفريقيا**، ترجمة أبو العيد دودو، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، الجزء الثاني، ص 138.

(10) Louis (BERTRAND): **Blida**، imp:HORIZONS de France، PARIS، sans année، P07.

(11) Youcef (OURAGUI): « Les portes de BLIDA »، in Revue « VISIONS D'ALGERIE، N°6- janvier، février، mars 2008، p 33.

(12) وكالة الأنباء الجزائرية: **ولايات في تطور**، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، 1989، ص 116.

(13) تحول اسمه فيما بعد إلى وادي سيدي الكبير، نسبة إلى مؤسس البليدة سيدي أحمد الكبير، ينبع من جبال الأطلس على بعد 4 كلم جنوب البليدة، وينصب في وادي جر قرب القليعة. ***أنظر:*** أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق، ص 171.

(14) عبد الرحمن (ابن خلدون): **تاريخ ابن خلدون**، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر، 1968، المجلد السابع، ص 133. ولعل الصراع الصنهاجي- الزناتي في القرن الرابع الهجري، ثم انتفاضة بني غانية ضد الموحدين في القرن السادس الهجري، وحلول العشائر الهلالية بجهات الجزائر، واشتداد المنافسة بين الزيانيين والحفصيين، كلها عوامل تظافرت للقضاء على الحياة العمرانية بمنطقة البليدة. **أنظر:** ناصر الدين (سعيدوني): **مدونة المدن الجزائرية**، في طريقه للنشر، الجزء الأول، ص 04.

(15) **خزرونة**: ضاحية من ضواحي مدينة البليدة اليوم، تبعد عن مركزها بحوالي 4 كلم إلى الشمال في الطريق المؤدي إلى مدينة الجزائر.

(16) أبو عبد الله (البكري): **كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب**، وهو جزء من كتاب المسالك والممالك، طبعة باريس، أدريان ميزوفوف، 1965 . ***وأنظر أيضا:***

george (Yver): "**Blida" in E . I 2**، T I ،A-D، Paris، 1913 ، P 754.

(17) المصدر السابق، المجلد السابع، ص 133.

(18) مولاي (بلحميسي): **الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني (رحلة الزياني)**، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ص 171.

(19) Thomas (Shaw): **voyage dans la régence d'Alger**، traduit de l'Anglais par j- mac carthy، paris، malin، 1830، T II، P 105.

(20) محفوظ (قداش): **الجزائر في العصور القديمة**، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص 128.

(21) Djamel (Melouh): et autres; op.cit، P 01.

(22) الميل يساوي 1609م.

(23) المصدر السابق، الجزء الثاني، ص138.

(24) Jean (Bisgambliglia): **Blida petite ville et grand ban lieue**، la dépêche ، samedi10/02/1962 ،P10.

(25) Colonel (trumelet): op.cit، T II، P 530 et suivante.

(26) **Guide Blida- chrea et leur environs**، imp: A. Mauguin، Blida، 1948، P 06.

(27) Jean (Bisgambliglia): OP.cit، P10.

(28) i bid، P08.

(29) Colonel (trumelet): op.cit، T II، P 530 et suivante.

(30) أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق، ص 199

(31) Colonel (trumelet): op.cit، T II، P 582 et suivante.

(32) عبد الرحمن (الجيلالي): **تاريخ الجزائر العام**، الطبعة السابعة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994. الجزء الثالث، ص 61.

(33) أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق، ص 199.

(34) عبد الرحمن (الجيلالي) :المرجع السابق، الجزء الثالث، ص 61

(35) venture (de paradis) : **Alger AU XIIIe siécle**، in R . A، T 39، Année 1895، P276.

(36) نور الدين (عبد القادر): **صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي**، نشر كلية الآداب الجزائرية، مطبعة البعث، قسنطينة، 1965، ص 62.

(37) **سيدي أحمد بن يوسف الملياني**: هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم أبو العباس أحمد بن يوسف الراشدي نسبا، ودارا الملياني، ولد في منتصف القرن الخامس عشر بإقليم وهران، عاصر سقوط غرناطة، واحتلال الاسبان لأجزاء من بلاد المغرب، ووصول الأتراك العثمانيين إلى الجزائر، كان من أعيان مشايخ المغرب وعظماء العارفين، جمع الله له بين علم الحقيقة والشريعة، اجتمع عنده جماعة من كبار المشايخ من العلماء والصالحين، واشتهر ذكره في الآفاق شرقا وغربا، وأوقع الله له القبول العظيم والعطف الجسيم في قلوب الخلق، وقصده الزوار من كل حدب، توفي يوم 24 صفر 931هـ / 18 نوفمبر 1524م. ***أنظر***: أبو القاسم محمد (الحفناوي): **تعريف الخلف برجال السلف**، تقديم محمد رؤوف القاسمي الحسني، موفم للنشر، الجزائر، 1991، الجزء الأول، ص 355، ص 357. و**أنظر** أيضا:

M (Bodin) :**notes et quistions sur ahmed ben youcef** in R . A، T 66، Année 1925، P-P125،189.

(38) هاينريش(فون مالستان): المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 135.

(39) وليام (شالر): **مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر (1816– 1824)**، تعريب وتعليق وتقديم إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 36.

(40) المصدر السابق، ص 91.

(41) Colonel (trumelet): op cit، T II، P 904.

(42) I bid p 904.

(43) حسب ترومليي فإن قبيلة بني صالح فرع من فروع قبيلة زناته البربرية الكبيرة، وان جد هذه القبيلة يدعى سعد، وكان له ولدان أحدهما كان يحمل اسم أبيه، والآخر كان يسمى صالح وفي العهد العثماني تجزأت القبيلة إلى مجموعة فرق. **أنظر** : T II P77 P 114.،op cit

(44) يرجع ابن خلدون أصل بني خليل إلى قبيلة صنهاجة البربرية؛ إذ يقول عنها: "كان أهل هذه الطبقة بنو ملكان بن كرت، وكانت مواطنهم بالمسيلة، إلى حمزة، إلى الجزائر، والمدية، وملیانة، من مواطن بني يزيد، وحصين، والعطاف من زغبة، ومواطن الثعالبة لهذا العهد. وكان معهم بطون كثيرة من صنهاجة، أعقابهم هنالك من متنان، وانوغة، وبنو عثمان، وبنو مزغنة، وبنو جعد، وملكانة، وبطوية، وبنو يفرن، وبنو خليل، وبعض أعقاب ملكانة بجهات بجاية ونواحيها".

أنظر : المصدر السابق، المجلد السادس، ص 309، ص 316 .

(45) عبد الرحمن (ابن خلدون): المصدر السابق، المجلد السابع، ص325، وقد قال بخصوص هذا الأمر:"...وفي خلال استغلاظ بني محمد بن علي بني عبد الواد، استوثق لمحمد هذا ملكه، فتغلب على أوطان صنهاجة بجبال المدية، وأخرج الثعالبة من جبل تيطري بعد أن غدر بمشيختهم وقتلهم، فانزاحوا عنها إلى بسائط متيجة وأوطنوها".

وأنظر أيضا: عمر خالد (كحالة): **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، الطبعة الثانية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1968، الجزء الأول، ص 142.

(46) Colonel (trumelet):op.Cit، T II، p746 .

(47) ناصر الدين (سعيدوني): **الأندلسيون (المورسكيون) بمقاطعة الجزائر "دار السلطان" أثناء القرنين السادس عشر والسابع عشر**، مجلة حوليات جامعة الجزائر، العدد 7، السنة 1992-1993، ص، ص 107.

(48) نفسه، ص 106، ص 115.

(49) ناصر الدين (سعيدوني): **الجانب الاقتصادي والاجتماعي من تاريخ الجزائر أثناء العهد العثماني**، مجلة الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، العدد الرابع (العهد العثماني)،، ص 97.

(50) ناصر الدين (سعيدوني): دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر (العهد العثماني)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 140.

(51) حمدان بن عثمان (خوجة): **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق محمد العربي الزبيري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص132.

(52) Colonel (trumelet):op.Cit، T II، p746 .

(53) Joëlle (Deluz): op.cit ،25 P.

(54) حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص131.

(55) هو الباي عثمان بن محمد بن عثمان الكبير، تولى حكم بايليك الغرب عام 1799م، كان يميل إلى حياة اللهو والمجون، فأهمل شؤون الحكم والإدارة، ولما وصلت أخباره إلى الباشا بالجزائر عزله، وأخذه مقيدا بالأغلال صحبة عائلته إلى مدينة البليدة سنة 1802م، بقي فيها عامين، ثم عينه الباشا على بايليك الشرق، حيث واجه ثورة ابن الأحرش الدرقاوي، ليقتل على يده في شمال قسنطينة عام 1804م. **أنظر**: بن عودة (المزاري): **طلوع سعد السعود في اخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر**، تحقيق ودراسة يحي بوعزيز، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، الجزء الأول، ص 299.

وأنظر أيضا: الحاج أحمد الشريف (الزهار): **مذكرات نقيب أشراف الجزائر**، تحقيق أحمد توفيق المدني، الطبعة الثانية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 87.

(56) ويتحدث المزاري عن سبب عزله في الصفحة 299 بقوله: "...وذلك أنه بعث مع بعض التجار لتونس ليشتري له بعض الجواري المغنيات، ذات الجمال والغناء الفائقات فأتاه بجاريتين مغنيتين بارعتي الغناء والجمال، متصدرتين فيه لإنالة المنى، تذهبان عن القلب ما به من النصب والعناء، فتسلى

بهما ليالي وأياما، ولغيرهما تحاشى، إلى أن بلغ خبره الجزائر إلى الباشا فغضب منه غضبا شديدا، ونهب ماله وسمر داره، وكبله قيدا حديديا، ونقله إلى البليدة على غير الحالة المرضية، فنزلها بأهله وولده وحشمه نزلته الكلية".

(57) الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 163.

ويخبرنا هذا المصدر عن سبب عزله فيقول: "فقال الخزناجي للباشا أن الآغا لا يعطي المؤونة للعسكر إلا البشماط القديم والبرغل الذي نصفه تراب والسمن الحار، فلا يقدر العسكر على أكله، فأرسلوا قائد أمن قوات الآغا وهو مريض، فأتاهم بشيء من البشماط والبرغل، فلما رأى الباشا ذلك اشتد غضبه عليه وعزله ونفاه إلى البليدة فسكنها، ثم إنهم بعد نفيهم إليها بعثوا في أثره، وخنقوه في بحيرته".

(58) صالح (فركوس) :**الحاج أحمد باي قسنطينة (1826–1850م)**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993، ص 18. **وأنظر أيضا** : الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص160.

(59) ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي...، ص93.

(60) نفسه، ص 94.

(61) نفسه، ص 94.

(62) Colonel (trumelet):op.Cit، T II P 905.

(63) وليام (شالر): المصدر السابق، ص 52.

(64) سيمون (بفايفر): **مذكرات جزائرية عشية الاحتلال**، ترجمة أبو العيد دودو، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دون تاريخ، ص 95.

(65) ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق...، ص93.

(66) سيمون (بفايفر): المصدر السابق، ص 184.

(67) NACEREDDINE (Saidouni): **L'ALGEROIS RURAL ALA FIN DE L'EPOQUE OTTOMANE (1791– 1830)**، DAR AL-GHARB AL-ISLAMI، BEYROOTH، 2001، p391

(68) Colonel (trumelet):op.Cit، T II P 905.

(69) وليم (سبنسر): **الجزائر في عهد رياس البحر**، تعريب وتعليق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980، ص 83، ص 84.

(70) ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي...، ص 102.

(71) حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص87.

(72) عبد الجليل (التميمي): **الدولة العثمانية وقضية الموريسكيين الأندلسيين**، الطبعة الأولى، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات، زغوان، تونس، 1989، ص 84.

(73) أحمد توفيق (المدني): المرجع السابق، ص 148.

(74) Colonel (trumelet): op.Cit، T II، p905.

(75) حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص 109.

(76) ناصر الدين (سعيدوني): المرجع السابق، ص 103

(77) محمد بن عبد الكريم (المغيلي التلمساني): **مصباح الأرواح في أصول الفلاح حول يهود توات**، تقديم وتحقيق رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 53، ص 60.

(78) Colonel (trumelet):op.Cit، T II P 905.

و**أنظر أيضا** : سيمون (بفايفر): المصدر السابق، ص181، ص182.

(79) **الأرشيف الوطني الجزائري: سجلات المحاكم الشرعية**، علبة 104 -105، وثيقة بدون رقم.

وأنظر أيضا:

Colonel (trumelet):op.Cit ، T II، P906.

(80) فوزي (سعد الله): **يهود الجزائر هؤلاء المجهولون**، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، 1996، ص 117 .

(81) Franc (jules): OP.cit، p57.

(82) X (Yacono):op.cit ،p321.

(83)William (Shaler): **Esquisse de l'ETAT d'Alger**، présentation de Claude Bontems، Edition Bouchene، Saint Denis، France، 2001، p34.

(84) Colonel (Trumlet): op.Cit، T II، p787.

(85) ناصر الدين (سعيدوني): الجانب الاقتصادي والاجتماعي...، ص92

(85) C.A (Rozet) : OP;CIT p 304، p306. **voir aussi**:
Colonel (Trumlet):op.Cit، T II، p785-p788.

وأنظر أيضا: الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص51، ص139، ص151.

وكذا: حمدان (خواجه): **إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراس عن الوباء**، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص45.

(87) المصدر السابق، ص46، ص47.

(88) الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص117. **وأنظر أيضا**:
p306. et، p304، cit،C.A (Rozet): op
Colonel (Trumlet):op.Cit، T II، p785، p788.

(89) الحاج أحمد الشريف (الزهار): المصدر السابق، ص 83، ص 155، ص 165. **وأنظر أيضا**:
C.A (Rozet) : op ،cit، p 304-p306 et
colonel (Trumlet):op.Cit، T II ،p785-p788
X (Yacono) : op Cit، p321
Jean (Bisgambilgia):op.Cit، p10.

(90) الوقف والتحبيس والتسبيل بمعنى واحد؛ وهو لغة: الحبس عن التصرف، يقال: وقفت كذا، أي حبسته، أما شرعا فله عدة تعاريف، فحسب أبي حنيفة النعمان (الحنفية) يعرف بأنه:" حبس العين على حكم ملك الواقف، والتصدق بالمنفعة على جهة الخير، وبناءا عليه لا يلزم زوال الموقوف عن ملك الواقف، ويصح له الرجوع عنه، ويجوز بيعه، لأن الأصح عند أبي حنيفة؛ إن الوقف جائز غير لازم كالعارية". أما الإمام مللك بن أنس (المالكية): فيعرفه بأنه: "جعل المالك منفعة مملوكة، ولو كان مملوكا بأجرة، أو جعل غلته كدرهم لمستحق، بصيغة مدة ما يراه المحبس، أي أن المالك يحبس العين عن أي تصرف تكميلي ويتبرع بريعها لجهة خيرية تبرعا لازما مع بقاء العين على ملك الواقف مدة معينة، فلا يشترط فيه التأبيد". وينقسم الوقف بحسب الجهة التي وقف عليها على نوعين: خيري؛ وهو الذي يوقف في أول الأمر على جهة خيرية، ولو لمدة معينة، يكون بعدها وقفا على شخص معين أو أشخاص معينين، كان يقف أرضه على مستشفى أو مدرسة ثم من بعد ذلك على نفسه وأولاده. أما الوقف الأهلي أو الذري: فهو الذي يوقف في ابتداء الأمر على نفس الواقف، أو أي شخص أو أشخاص معينين، ولو جعل آخره لجهة خيرية، كان يقف على نفسه ثم على أولاده ثم من بعدهم على جهة خيرية.

أنظر: وهبة (الزحيلي): **الوصايا والوقف في الفقه الإسلامي**، الإعادة الأولى 1419 هـ /1998م المطابقة للطبعة الثانية المزيدة 1417هـ/ 1996م، دار الفكر، دمشق، سورية، ص 135، ص140.

(91) رابح (كنتور): **الوقف ومكانته في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية بالبليدة في أواخر العهد العثماني**، محاضرة ألقيت خلال الملتقى الثاني لمتيجة عبر العصور (من 4 إلى 9 ماي 2002) بقاعة محمد توري بالبليدة، ص 05.

(92) ناصر الدين (سعيدوني): النظام المالي...، ص 146.

(93) صالح (العنتري): **سنين القحط والمسبغة ببلد قسنطينة** أو (**مجاعات قسنطينة**)، تحقيق وتقديم: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر التوزيع، الجزائر، 1974، ص 40.

(94) حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص 136 .

(95) رابح (كنتور): المقال السابق، ص 08 .

(**96**) **أ.و.ج** : **س.م.ش**: علبة 106، وثيقة 59- 126.

(97) نفسه، علبة 104 – 105، وثيقة 114– 30.

(98) ناصر الدين (سعيدوني): النظام المالي...، ص 146.

(99) رابح (كنتور): المرجع السابق، ص 08.

(**100**) **أ.و.ج** : **س.م.ش**: علبة 102 –103، وثيقة، 92– 26.

(101) نفسه، علبة 35، سجل 366، ص 37.

(102) نفسه، علبة 35، سجل 366، ص 59.

(103) رابح (كنتور): المرجع السابق، ص 09.

(104) هاينريش (فون مالستان): المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 137.

(105) نفسه، الجزء الأول، ص 57.

(106) نفسه، الجزء الثاني، ص 137، ص 138.

(107) جون (وولف): **الجزائر وأوربا**، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص 170

(108) محمد العربي (الزبيري): **التجارة الخارجية للشرق الجزائري**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دون تاريخ، ص 47.

(109) أبو العيد (دودو): **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان (1830–1850)**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989، ص 181.

(110) جون (وولف): المرجع السابق، ص 170.

(111) Colonel (Trumlet): op.Cit، Tome II، p883. ، p 946.

(112) حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص 102.

(**113**) **أ.و.ج** : **س.م.ش**: علبة 104 –105، وثيقة 72– 181.

(114) نفسه، علبة 104–105، وثيقة 57 – 186.

(**115**) **الأرشيف الوطني الجزائري**: **سجلات البايليك**: علبة 07، وثيقة 99.

(116) نفسه، علبة 07، وثيقة 100.

(117) هاينريش (فون مالستان): المصدر السابق، الجزء الثاني، ص 138.

(**118**) **الزيارة**: قدوم المريد التابع على شيخه، محملا بمستحقات الطاعة والتبعية، فحق الشيخ على المريد المبلغ المالي المحمول إلى الشيخ، قل أو كثر والهدية مهما كان نوعها عند زيارة الشيخ أو نائبه في الزاوية.

(119) Colonel (Trumlet):op.Cit، T I، p22.

(**120**) **سيدي عبد القادر الجيلاني**: هو أبو محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني (1066م–1179م)، يعتبر مؤسس الطريقة القادرية، والتي مركزها ببغداد، وتعتبر المنطقة الممتدة ما بين شرشال ومعسكر المراكز الأساسية لأتباع هذه الطريقة بالجزائر، قبره وضريحه موجود ببغداد. **أنظر** :
Nacereddine (Saidouni) : op، cit، p303

(121) هو صاحب القبة المقدسة ويدعى سيدي يعقوب الشريف الزيوج القرطبي، استقر بسفوح الأطلس البليدي بعد هجرته من الأندلس، وانتقاله من مراكش إلى الحج، ونال خطوة كبيرة لدى العامة عند ذلك، وبعد موته بمقره بحوش الشفة حوالي سنة 927هـ/1521م تحول ضريحه إلى مكان للزيارة والتبرك.

أنظر: ناصر الدين (سعيدوني): الأندلسيون (المورسكيون)...، ص 117. **وأنظر أيضا**:
Jean (Bisgambilgia):op.Cit، p 08.

(122) حمدان بن عثمان (خوجة): المصدر السابق، ص58.

(123) عبد الرحمن (الجيلالي): **تاريخ المدن الثلاث (الجزائر، المدية، مليانة)**، الطبعة الثانية، مطبعة صاري بدر الدين وأبنائه، الجزائر، 1972، ص 316 .

(124) F (Dermenghem) : **sidi Ahmed elKèbir patron de Blida**."Documents Algériens" n =° 65 du 25 novmbre1952، p23

(125) Colonel (Trumlet):op.Cit، T I، p563، p632 .

(**126**) **الوعدة**: نذر، وهي ذبيحة يتخذ منها وليمة دينية، مصحوبة ببعض الممارسات السحرية أو الخرافية .

(**127**) **الزردة**: وليمة موسمية، يحضرها إتباع الزاوية نفي مكان مفتوح، أو عند ضريح أحد الأولياء، تجمع من تبرعات الأتباع، وأحيانا من عطاء بعض الأغنياء، والقصد هو لفت الأنظار، وتكثير الأنصار، وجمع التبرعات لأصحاب الزاوية.

(128) Colonel (Trumlet): T I، p563 ،p632.

(129) فلنزي (لوسات): **المغرب العربي قبل احتلال الجزائر (1770 – 1830)**، نقله إلى العربية لادي الساحلي، سواس للنشر، تونس، 1994، ص 48.

(130) Colonel (Trumlet):op.Cit، T I، p593، p632.

(131) المصدر السابق، ص 58، ص 59.

(132) أبو القاسم (سعد الله): **تاريخ الجزائر الثقافي**، الطبعة الأولى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، الجزء الثامن، ص 131.